مدى وفاء اللغة العربية بحاجات العلوم

إعـداد

دكتور/ عبد الغفار حامد هلال(*)

المعروف أن الترجمة في معناها الأصطلاحي تعني نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى لغة، والتعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها ومن أهم ماتتناوله الترجمة والتعريب نقل الآثار العلمية من النشاط العلمي والتأليف فيه في مجالات الرياضيات والفلك والهندسة والطبيعة والكيمياء والطب والعلوم الأجتماعية وغيرها.

ومن المسلمات أيضاً ان يلاحظ عند النقل من لغة إلى أخرى صلاحية اللغة المنقول إليها للعلوم ونقل الحضارات الأخرى.

وتتناول الترجمة نقل معاني الالفاظ فيما يسمى بالترجمة الحرفية وترجمة الجمل والعبارات أو طريقة المعنى العام للعبارة أو الترجمة العلمية ويقوم ذلك على معرفة الفروق بين دلالة الألفاظ في اللغات المختلفة والتراكيب أو ما يعرف بهندسة الجملة والتعبيرات المجازية والألفاظ المستحسنة والمستقبحة والألفاظ ذات المعني اللغوي والألفاظ المستخدمة في أكثر من معنى.

وإذا كانت في العالم بعض اللغات التي يتعسر أن تجد فيها مقابلات لمعاني الألفاظ والمصطلحات العلمية في اللغة الأخرى لضعف في اللغة المنقول إليها كاللغات البدائية إذا كان ذلك واقعا في بعض اللغات فإن العربية

(*) رئيس قسم إصول اللغة – كلية اللغة العربية جامعة الأزهر – بالقاهرة

تتربع على عرش الصلاحية الكبرى لاستيعاب العلوم والمعارف فهي على رأس اللغات التي تجتاز تعبيراً ودلالة بل تقف في مقدمة اللغات العصرية فالعربية لغة غنية في نواح عديدة.

أولاً: مجال المفردات:

خصت العربية دون سواها من اللغات بزيادة مادة الفاظها اللغوية وكثرتها كثرة قد تظن خيالاً عند الحديث عنها فهي كما قال واضع أول معجم فيها كبير هو الخليل بن أحمد المتوفي سنة ١٧٥هـ. إن كلماتها بلغت بالتحليل الرياضي أثنى عشر ألف ألف (أى أثنى عشر مليون من الكلمات) .

استعمل العرب منها بعضها الذى ضمنه المعاجم اللغوية مثل معجم لسان العرب الذي يقع في عشرين مجلداً ويضم فيها ثمانين ألف مادة مستعملة وكل مادة يمكن أن تتفرع منها كلمات كثيرة عن طريق عوامل نموها الكثيرة التى تجعلها صالحة لنقل العلوم والمعارف الإنسانية. وفى مجال نقل العلوم وترجمتها نجد وفرة فى المفردات العربية الصالحة لحمل معانى الالفاظ الاجنبية في سهولة ويسر وأمامنا معجمات العربية مليئة بالمفردات ومعانيها وعندنا عوامل كثيرة يمكن اللجوء إليها منها:

الاشتقاق: وهو يعنى اخذ كلمة من أخرى لتشاركها فى المعنى الاصلى وتزيد عليها فى المعنى تبعا للحاجة المنوطة بها فالكلمات فى العربية لها أصول وفروع تتولد من الاصول والجذر اللغوى فيما يدل على معنى مركزى عام تتفرع وتدور حوله المعانى والالفاظ المشتقة منه فمثلاً مادة (جدق) تفيد معنى الاستدارة والاحاطة مثل الحديقة وحدقة العين واحدق به المطر .. الخ. وفى هذا النوع من الاشتقاق نلحظ الأشتراك فى عدد من الحروف وهى فى

اللغة العربية ثلاثة، ونلحظ أن هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في الألفاظ التي تشتق من الأصل، ونلحظ الاشتراك بينها في أصل المعنى.

ويشمل هذا النوع من الاشتقاق: الافكار والإسماء المأخوذه للدلالة على الفاعل والمفعول والتفضيل والزمان والمكان إلى غير ذلك ويمكن الاشتقاق من اسماء الاعيان كمذهب ونقيض كما رأى المجمع اللغوى وهناك المصدر الصناعى وغيره.

وللعربية مزية لاتتوفر لغيرها وهى دوران موادها حول معنى عام على حين لاتجد هذا الرابط بين المعانى فى اللغات الأخرى فمادة (أخو) فى العربية تدل على الأخوة على حين لاتربط بينها فى اللغات الأجنبية ففى الفرنسية FERE، SAEUR وفى الإنجليزية BROTHER، SISTER مما يسمح للعربية بالاكتفاء بالمصطلحات القليلة فى التعبير عن المواد القليلة والأبدال: صورة القلب فى الحروف ووضع بعضها مكان بعض يؤدى إلى استخدام عدد ضخم من الكلمات التى تفيد فى مجال نقل المصطلح العلمى والمواد اللغوية تعطى تقاليب مختلفة فى عددها تبعاً لعدد حروفها الأصلية وقد صرح الخليل بأن الثنائى يعطى تقليباً واحداً فيكون لفظين أثنين والثلاثي يعطي ستة والرباعي يعطي أربعة وعشرين والخماسي مائة وعشرين تقليباً وجاءت فى المعاجم اللغوية صور لهذا القلب اللغوي وهذه المقلوبات اللغوية تفيدنا في كفاية الحاجة عند وضع المصطلحات العلمية وترجمتها ومن ذلك (جد) وجب ويرج وجرب وكل ذلك يمكن أستخدامة في المعاني الجديدة المرادة كذلك أبدال الحروف بعضها من بعض يستعمل لتنويع المعاني مثل سد وصد وقسم وقصم وتضح ونصح فالأول والثاني للحاجز بين الأشياء ويأتي حسب قوة الحاجز وضعفة والثالث والرابع لفصل الأشياء بحسب نوع الفصل عنيفاً أو رقيقاً والخامس والسادس لنوع سيلان الشئ شديداً أو ضعيفاً وفي القرآن

الكريم في وصف الجنتين (فيهما عينان نضاختان) معبراً عن قوة تدفق الماء وفورانة.

هذا مجال يفتح الباب لسد مانحتاج اليه في النقل العلمي القياس: وهو يعني استعمال لفظ على نمط لفظ آخر معلوم وفق قوانين ونظم سارت عليها العربية ويمكن تطبيقها لاتساع اللغة، وهذا المجال فتح الأبواب لزيادة الثروة اللغوية على نمط ماسلكه العرب وأصلوه.

النحت: بضم كلمة إلى أخرى أو كلمتين أو أكثر لإقامة المعنى المطلوب وهذا له فوائده في النقل العلمي مثل (نغمي) نسبه إلى الصوت الذي يخرج من الفم والأنف معاً.

مجالات الدلالة وتطويرها:

لها طرق ومسارات كثيرة تبنى على أساس ما استقر في العربية من معاني الحقيقة والمجاز اللغوي وتطور الألفاظ ومعانيها من الحقيقة إلى المجاز أحدث تطور في العربية فيما عرف بالتطور الدلالي التلقائي أو العام والتطور الدلالي المقصود أو الخاص.

فالعام هو ذلك الذي يجرى بحسب سنة التطور الجبرى وتم ذلك قديماً مثل كلمة (المجد) فقد كانت تعني إمتلاء بطن الدابة بالعلف ثم استعملها العرب في حياتهم المدنية لمعني السمو والرفعة وبين المعنيين علاقة هي المشابهة في الإمتلاء في كل وقد فتح هذا المجال الباب أمام علماء المسلمين ليستخدموا الألفاظ كمصطلحات علمية وفنية بناء على علاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد

وللنقل طرق أهمها:

١- أن يغلب أستعمال اللفظ بطريق الأستعارة أو المجاز كالفصاحة .

٢- أن يغلب أستعمال اللفظ الذي يدل على معنى كلي في جزئي من جزيئاته كالدابة

٣- أن يغلب أستعمال اللفظ الخاص في معنى عام بحيث يفهم معنى العموم عند الأطلاق كلفظ البأس

٤- أن ينقل اللفظ من معناه الأصلي لمعنى اصطلاحي علمي كمصطلحات النحويين ومصطلحات الفقهاء (الصلاة - الصوم - الزكاة - الحج) ومصطلحات المناطقة (المقدمة - النتيجة - القضية - القياس) وقد جرى المجمع اللغوي في القاهرة على وضع الألفاظ لمصطلحات وأسماء المخترعات مثل (القطار - الإذاعة - المدفع - الدبابة - الطائرة ...ألخ)

مجال التعريب

نشأ عن أتصال العرب بالأمم الأخرى دخول بعض مظاهر الحضارة من الأمم الأخري إلى العرب ووقعت ألفاظ أجنبيه رومية وفارسية ويونانية وغيرها في اسفار العرب وكلامهم وورد بعض هذه الألفاظ في القرآن الكريم مثل أستبرق ودرهم وبعض الأعلام.

ونحن نرى أن العرب سلكوا طرائق متعددة في نقل الألفاظ الأعجمية وسميت في كتاب اللغة بطرائق التعريب.

بعض هذه الطرائق (الجانب الصوتي وبعضها في الجانب الصرفي والنحوى ففي الجانب الصوتي كانت لهم طرقهم في تغيير الحرف غييد الملائم فإذا أشتملت الكلمة الأعجمية على حرف أو أكثر ليس من حروف العربية يبدل منه ماقرب منه من حروف العربية وجعل ذلك بعضهم في خمسة حروف بطريقة الابدال كالباء الثقيلة في مثل برند (P) وبندق

يصيرونها باء خفيفة برند -- أو خاء فندق والحرف الذى بين الجيم والكاف أكر يبدلونه على جيم خالصة فيقولون آجر للطين المطبوخ.

وقد تكون الكلمة الأعجمية على صيغة غير ملائمة للعربية فيحولونها إلى صيغة بلاغية مثل كلمة درهم وهي كلمة فارسية أو روسية عربت وبنطقها القديم هو درهم drahm والحديث دْرم وكلا النطقين للكلمة ينافى النظام المقطعى للعربية فالكلمة بنطقها القديم مكونة من ص + ص + ح + س + ص وبنطقها الجديد مكونة من ص + ص + ح + ص ولايوجد فى العربية مقطع مشابه لما وقع فى صدر الكلمة بالنطقين ولآ لما وقع فى آخرها بالنطق الأول أيضاً فى غير حال الوقف وهذا ناشئ عن بدء الكلمة الاعجمية بالساكن وفقدان الإعراب فغيرت بكسر الحرف الأول وهو الدال ونقلت فتحة الراء فى النطق الأول إلى الخاء الساكنة بعدها وقد حولت الخاء فى هذا النطق إلى هاء فى النطق العربى للكلمة ثم حرك آخرها بتطبيق قواعد الإعراب عليها.

وفى الجانب الصرفى والنحوى: يلجأون إلى الاشتقاق من الكلمة الأعجمية مثل درهمت الخبارى: صارت كالدرهم والتثنية والجمع: ابراهيمان واسماعيلان وأباره واسامع وصقر على بربه وسمع كما أدخلوا لام التعريف على بعض الكلمات الأعجمية لتصبح عربية مثل طاب الخشكنان والقرفة والياسمين والديباج فطبقوا عليها قواعد الإعراب العربية.

وبعض الكلمات نقلوها من لغاتها الأعجمية دون تغيير فيما لم يكن فيه مانع بقياد النطق العربى مثل خراسان وكركم.

وعرفت الكلمة بأنها أعجمية بامارات تخالف بها العربية النص مثل:

١- نص علماء اللغة على أن اللفظ أعجمى.

٢- خروج الكلمة عن أوزان العربية المعروفة مثل خراسان وأمين وأبريم

٣- أن يوجد فى آخر الكلمة راء قبلها دآل كهندر.

٤- وجود الجيم والقاف فى الكلمة كالمنجنيق لآلة حربية.

٥- اشتمال الكلمة على الصاد والجيم مثل الصولجان

٦- ابتداء الكلمة بنون بعدها راء كنرجس

٧- خلو الكلمة الرباعية أو الخماسية المجرورة من حروف (مربتعل) مثل جوسق إلا ما نص العلماء على عربيته مع خلوه منها كالعسق للذهب.

واستعمال العرب جائز عند العلماء ويستعمل عند الضرورة كما نص على ذلك مجمع اللغة العربية فإذا لم يمكن استخراج لفظ من القواميس وعجزنا عن نقل كلمة عربية من معناها العربى إلى المصطلح العلمى الجديد ولم يكن أمامنا بد من أخذ الكلمة الأعجمية فلا مانع من تعريب اللفظ الذى يصلح مصطلحاً علمياً.

التجارب التي مرت بها الأمة العربية ونجحت فيها ترجمة العلوم والمعارف

ففيما سبق الإسلام من عهود كانت هناك ترجمات فى العالم القديم – على أساس البناء الحضارى عند البابليين والآشوريين والفينيقيين والفراعنة والحيثيين وكان أساس ذلك التناول سامياً نقل إلى شعوب عالمية فى مجالات الرياضات والفلك والهندسة وغير ذلك مما كان له أثره فى بناء حضارة الإغريق ثم عاد بعد ذلك ليترجم إلى العربية ويعود العلم إلى مهده الأول فى الشرق.

وفى العصر الجاهلى –عند العرب– لم يكن هناك ما يدفعهم إلى الترجمة والتعريب.

وبظهور الإسلام كثرت حاجات الحضارة واتصل العرب بمن حولهم من الشعوب وأدى ذلك إلى الحاجة إلى الإفادة من علوم الشعوب الأخرى وكانت بعض الكلمات والمصطلحات تدخل إلى نطاق العربية –على سبيل التعريب– ثم تدرج الأمر إلى مقابلة المعانى والأساليب فيما جد من تفاعل اجتماعى للاتصال بين العرب وغيرهم وفى العلوم المختلفة بما تشمل عليه العربية من مفردات وتراكيب واسعة الدلالة تستوعب كل متطلبات الحضارة والتقدم وتواكب النمو المطرد فى الأحوال الاجتماعية والعلمية والثقافية المتنوعة.

ثم ظهرت الترجمة فى العصر الأموى بطريقتين: النقل بالمشافهة والنقل بالترجمة المنظمة.

وكانت محاولات الترجمة فى أول الأمر تتم على يد بعض الأفراد ثم أخذت العناية والاهتمام وأول نقل ظهر فى الإسلام تم على يد خالد بن يزيد

ابن معاوية (سنة ٨٥هـ) من اليونانية والقبطية إلى العربية فى الطبيعة والكيمياء ثم تكونت جماعات للترجمة يمكن أن تأخذ شكل المدارس اللغوية التى يبرز نشاطها فأصبحت تتجه إلى العلوم المعملية كالطب والكمياء وأجاز ذلك عمر بن عبد العزيز الذى أمر بعض المترجمين أمثال ابن أعين بترجمة بعض كتب الطب ثم جاء الخليفة مروان بن الحكم فاهتم بالترجمة ونقلت فى عهده كتب من السريانية إلى العربية وسار على نهجه ابنه عبد الملك.

وقد نشطت حركة الترجمة فى العصر العباسى الأول (١٣٢-٣٣٤هـ) فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين -لشدة الاختلاط بين العرب والأمم ذوات الحضارة من الفرس والروم والهنود واليونان كما اتصلوا بالسريان وشهدوا مدارسهم.

وقد مرت الترجمة فى هذا العصر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من عهد الخليفة الثانى أبى جعفر المنصور إلى آخر عهد الرشيد (من سنة ١٣٦ : ١٩٣هـ).

ومن مشاهير المترجمين آنذاك ابن المقفع ويوحنا بن ماسويه وجورجيس بن جبرائيل وغيرهم ومعظم المترجم كتب مترجمة.

المرحلة الثانية: تبدأ بعهد الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨هـ) إلى نهاية القرن الثالث الهجرى. ومنها ترجمة أهم كتب الفلسفة والعلوم من اليونانية على يد حنين بن اسحاق والمعاصرين له مثل ابن اسحاق وثابت بن قرة ويحيى البطريق -مولى المأمون- وابن ناعمه الحمصى وقسطا بن لوقا البعلبكى وغيرهم. ونهضت الترجمة بعمل حنين واشرافه على القائمين بها.

المرحلة الثالثة: فيما تلا ذلك إلى منتصف القرن الرابع الهجرى وفيها ظهرت ترجمات فى المنطق وعلوم الطبيعة على يد يوحنا بن متى بن يونس وسنان بن ثابت بن حمزة ويحيى بن عدى وغيرهم.

وفى العصر الحديث نشطت الترجمة - بعد عصر محمد على وإنشاء المدارس والبعثات وكان لرفاعة الطهطاوى جهد بارز فى ذلك -- منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر واستمر نشاطها فى القرن العشرين وقد بدأت الترجمة فى الجوانب الإدارية ثم اتسع نشاطها إلى كل الفنون الأخرى علمية وثقافية وزراعية وتجارية وغيرها.